http://www.nidaulhind.com/ http://nidaulhind.blogspot.in

متابعات

الرفق بالحيوان سبق حضاري إسلامي

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر

من الأمـــور التي تدعونا للفخر والزهو بديننا وبرســـولنا العظيم ســـيدنا محمد (صلى الله عليه وســـلم)، أنه كان ســـبَّاقًا ومُبَـــادِرًا في كل خير... ســـبَّاقًا فـــي البناء (المـــادي والمعنوي)، حيـــث أبدع النبي العظيـــم في إقرار الآداب والأخلاقيات الكفيلة بإيجاد حياة صالحة، بل أبدع في مراعاة مشـــاعر البشر وأحاسيســـهم ونفسيتهم.

وتخطى هذا النســـق الإنساني المهم والراسخ في ديننا، إلى الســـبق الحضاري المبكر في نسق آخر ربما يكون فريدًا من نوعه، وهو مراعاة مشاعر الحيوان الأعجم وأحاسيسه، ومن ثم فاقت جهوده بمدى واسع ما في الحضارة الحديثة في إقرار حقوق الحيوان.

حضارة العلم والإيمان والرحمة:

وهكذا أسس النبي العظيم حضارة العلم والإيمان والرحمة على أسس ربانية سليمة، ضامنة لصلاحيتها وشموخها وصمودها وبقائها ووفائها بمتطلبات الحضارة والتطور والمستجدات.

واشتملت حضارتنا على الحقوق والواجبات بتوازن جليل وفيها:

- مقومات أخلاقية إنسانية؛ لتحقيق الصلاح والإصلاح.
- ومقومات العالمية، لتكون عامة لكل الدنيا.
- ومقومات الخاتمية؛ لتبقى إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين.

المولد الحقيقي لحقوق الإنسان والحيوان:

كان الميلاد الحقيقي لحقوق الإنسان، وحقوق الحيوان والنبات وحتى الجماد، ببَعثة النبي الكريم سيدنا محمد (صلَّى اللَّه علَيه وسلَّمَ) الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه؛ لذلك شاءت إرادةُ اللهِ (عز وجل) أن تكون حياته صفحةً مفتوحة للجميع. ولقد سجلت السُّنةُ الشريفةُ والسيرةُ النبويةُ جميعَ وقائع حياة النبي (صلَّى اللَّه علَيه وسلَّمَ)، من أقواله، وأفعاله، وعباداته، وأخلاقه، وأسفاره وعاداته، وشكلَ لباسه، وهندامه، وملامح وجهه، وخَلقه، وخُلُقه، وشخصيته، وكيفيةَ تكلمه، كما سجلت آداب طعامه، وشرابه، ونومه، وصحوه، وتبسمه، وعشرته لأهل بيته، وأصدقائه، وأعدائه؛ حتى نتعلم العبادات والمعاملات والحقوق والواجبات والأخلاقيات التي جاء بها لبناء الإنسان، وإصلاح الكون وإسعاد حياة الحيوان في بيت النبي (صلى الله عليه وسلم):

ولما جاء الرسول الكريم أرسى حضارة العلم والإيمان والرحمة بمعناها الشامل ومنها: الرحمة بالحيوان، يظهر ذلك من دعواته المتكررة -التي لم تتوقف- بالرحمة بالحيوان بكل أصنافه وأنواعه، وأيضاً من تطبيقاته الشخصية مع الحيوانات التي كان يمتلكها وغيرها؛ حيث كانت له ناقة تسمى القصواء -وهي التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة- كما كان له ناقتان أخريان تسميان العضباء والجدعاء، وكانت ناقته العضباء لا تُسْبَق، وكان له حمار يقال له عُفَير... ولعل هذه الحيوانات وغيرها مما كان في بيت النبوة كانت مضرب المثل في العناية والرعاية والتكريم، ولا سيما وهو يعلم أصحابه والمسلمين من بعده والناس أجمعين، كيف يكون الرفق الحقيقي

من مظاهر رحمة النبي (صلّى اللّهُ علَيهِ وسلّمَ) بالحيوان أنه أمر بالإحسان إليه والرفق به

بالحيوان، وكيف تكون العناية الجسدية والنفسية بهذا الحيوان الذي سخره الله لبني الإنسان.

حضارة الرحمة.. ومثالية الرفق بالحيوان الأعجم:

ومن مظاهر رحمة النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) بالحيوان أنه أمر بالإحسان إليه والرفق به، وقد ركِبتُ السيدة عائشة (رضي الله عنها) بعيرًا، فكانت فيه صعوبةٌ، فجعلت تُرَدِّدُه -أي تمنعه وتدفعه بشدة- وربما قست عليه، فوجهها النبي (صلَّى اللَّه علَيهِ وآله وسلَّمَ) إلى الرفق بقوله: "إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلَّا شانه" (رواه مسلم).

وقصَّ النبي الكريم على أمته قصة الرجل الذي أحسن إلى الكلب وسقاه؛ فشكرَ اللَّه لهُ، فغفرَ لهُ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلَّى اللَّه علَيهِ وسلَّمَ) قال: (بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطَشُ، فوجدَ بئرًا، فنزلَ فيها فشربَ، ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرَى منَ العطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الَّذي كانَ بلغَ بي فنزلَ البئرَ فملأ خفَّهُ ثمَّ أمسَكَهُ بفيهِ -أي بفمه- فسقى الكلبَ فشكرَ اللَّهُ لهُ، فغفرَ لهُ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وإنَّ لنا في البهائمِ أجرًا؟ فقالَ: في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ. (أخرجه البخاري).

الإسلام.. وتحريم وتجريم إيذاء الحيوان

ومن عظمة النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) ورحمته التي شملت كل شيء أنه نهى عن إيذاء الحيوان بأي صورة من صور الإيذاء، حيث شدد في: النهي عن إيذاء الحيوان أو التمثيل به فحذر عليه الصلاة والسلام من إيذاء الحيوان، أو التمثيل به، وهو قطع قطعة من أطرافه وهو حي، ولعَن من فعل ذلك؛ فعن عبد اللَّه بن عمر (رضي اللَّه عنهما) قال: لعَنَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم مَن مَثَّل بالحيوانِ (أخرجه البخاري في صحيحه).

النهي عن وسم الحيوان بالنار أي كيّه بها لتمييزه

لقد نهى النبي الرحيم عن وسم الحيوان بالنَّار أي كيِّه في وجهه بها؛ ليكونَ علامةً له.. فعن جابر (رضي الله عنهما)؛ أنَّ النبيَّ (صَلَّى اللَّه عليه وَسَلَّمَ) مَرَّ عليه حِمَارٌ قدْ وُسِمَ في وَجْهِه، فَقالَ: لَعَنَ اللَّه الذي وَسَمَهُ (صحيح مسلم). وفي الحديث النَّهيُ عَن وسْم الحيواناتِ وعَن تعذيبها بالنَّار في أي مكان.

النهي عن حبس الحيوان وتجويعه

أوجب رسول الإسلام والإنسانية للحيوان على صاحبه الحقَّ في الطعام والشراب والراحة، وتوعد من لم يفعل ذلك بالعذاب في الآخرة، حيث حرم حبس الحيوان وتجويعه، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) قال: "دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ في هرَّة رَبَطَتْهَا، -وفي رواية حبستها- فَلَمْ تُطْعِمْهَا، ولَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ" (صحيح البخاري).

فالله تعالى يعذبها بسبب ذلك، فما بالنا بمن يعتدي على خلق الله أو مخلوقات الله بالتعذيب أو الحرق أو الإرهاب أو القتل؟! والعياذ بالله.

وهذا الحديث يدُلُّ على أنَّ تعذيبَ الحيوان يترتَّبُ عليه العقوبةُ والنَّارُ، وفيه الوعيدُ الشَّديد لِمَن عذَّبَ خلق الله أو أرهبهم.

وإذا كانت الإشارة هنا لهرة، فإن هذا الحكم ينسحب على ما في معناها من الدواب، ويزداد التشديد في حالة الحيوانات النافعة، إذ هي مملوكة ومحبوسة ومشغولة بمصالح المالك، ومن ثم يجب أن نتعهدها بالماء والعلف والراحة والعلاج؛ لتتهيَّأ لما نريده منها، فإذا أردنا ركوبها، تكون صالحة للركوب قوية، ويجب ألا نحمِّلها ما لا تطيق. ومن ذلك ما أكده العلماء أنه يجب على مالك النحل أن يُبقي للنحل شيئًا من العسل في الخلية بقدر حاجته وطعامه. (انظر محمد إلهامي، حقوق الحيوان).

- النهي عن اتخاذ الحيوان هدفًا للرمي حيث كان بعض الناس قديما يتعلمون الرماية بتصويب السهام والنبال وغيرها إلى الحيوانات، فشدد الإسلام الحنيف في النهي عن هذا الصنيع الشنيع.

- النهي عن اتخاذ ظهر الدابة منبرًا يخطبون عليه، أو يتناشدون الشعر وهم على ظهور الدواب، وكان ذلك ديدنهم وقتذاك في منتدياتهم وتجمعاتهم فنهاهم

الإسلام عن ذلك، رفقا بالحيوان الأعجم ورحمة به.

- تحريم تجويع الحيوان أو الإثقال عليه، فعن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) قال: "مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ" (صحيح مسلم).

وبلغ النبي (صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) في رعاية الحيوان والاهتمام بعاطفة الأبوة والبنوة؛ أنه نهى عن التفريق بين الأم وفراخها، كما شدد في تحريم حرق الحيوان بالنار، جاء ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في قصة الحمَّرة. والحديث فيه النَّهيُ عن تفزيع الطُّيور بأَخْذِ صِغارِها.

ورَأى النَّبيُّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، "قريةَ نَمْلٍ قَدْ حرَّقْنَاها" والحديث لعبد الله بن مسعود، والمُرادُ بالقَرية: هي مَساكِنُها، فقال (صلَّى الله عليه وسلَّم): "مَنْ حَرَّقَ هذه؟" قال بعضُ أصحابه: "نَحْنُ"، فقال (صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ): "إنَّه لا يَنْبَغي أنْ يُعذِّبَ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّار"، ومن ثم فليس لأيِّ إنسان أن يُعذِّب أيَّ رُوحٍ إنسانًا كانتْ أو حيوانًا؛ لأنَّه لا يُعذِّبُ بالنَّارِ إلَّا خالِقُها.

ومن صور مراعاة النبي الحكيم (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) لمشاعر الحيوان وأحاسيسه، واحتياجاته ما يلي:

- دعا النبي الكريم إلى الإحسان بالحيوان عمومًا، وفي السفر خصوصًا، حيث كان الحيوان يمثل وسيلة السفر

الأساسية لدى العرب آنذاك - كما ذكرنا-، لذا أكَّد على عدم إرهاقه أو الإساءة إليه، وأكَّد على مَن يركب الدابة في السفر أن يحسن إليها.

- وعلَّم أصحابه (رضي الله تعالى عنهم) أنهم إذا نزلوا من على الدواب في السفر، ألا ينشغلوا بالصلاة، حتى يُنْزِلُوا الرحالَ والأحمال من على ظهور الدواب.. فأية عظمة وأية حضارة عظيمة تلك التي أرساها رسول الإنسانية؟!

- ولأن الدواب تتغذى من نباتات الطريق، والأعشاب العمومية التي خلقها الله في الصحراء وغيرها، فقد أمر النبي الحكيم مَن يركبونها بأن يراعوا ذلك، وعلمهم أنه حين يسيرون في طريق خصب بالنباتات فلا يُسرعوا، لماذا؟؛ حتى تأخذ الدابة حقها وكفايتها من الطعام، وحين يسيرون في طريق مجدبة لا تجد فيها الدابة ما تتغذى عليه، فعليهم أن يسرعوا في المسير، لماذا؟ حتى لا تجوع الدواب وحتى يصلوا إلى أماكن أخرى للطعام.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) قال: "إذا سافَرْتُمْ في الخِصْبِ، فأعْطُوا الإبِلَ حَظَّها مِنَ الأرْضِ، وإذا سافَرْتُمْ في السَّنَةِ [أي: في زَمَنِ الجَدبِ] فأسْرِعُوا عليها السَّيْرَ..". (صحيح مسلم).

ومن ذلك أيضاً:

- نهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) أن تذبح الذبيحة أمام أختها.

- ونهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) أن تُسن المدية -أي السّكين- أمام الذبيحة.

- ودعوته (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) إلى الإحسان إلى الحيوان واحترام مشاعره عند ذبحه.

" ونهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) عن تعذيبه جسديًّا بسوء اقتياده للذبح، أو برداءة آلة الذبح.

- كما نهى عن تعذيبه برؤيته للسكين.

ولعل ذلك من أبرز تجليات رحمة الحضارة الإسلامية التي أسسها رسول الإنسانية الذي قال: (إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شيءٍ... وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ). (صحيح مسلم).

- ودعوته (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) عند حلب البهيمة أن نترك في ضرعها لبنًا يكفي لإرضاع ولدها، فقد مرَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على رجل يحلب شاة، فقال له: "أيْ فُلانُ إذا حلَبْتَ فأبْقِ لولدها فإنَّها مِن أبَرِّ الدَّوابِّ". (أخرجه الطبراني في الكبير).